

المرآة

مجلة أسبوعية تهذيبية والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

النقابات الإسلامية

للأستاذ برنارد لويس

ترجمة الأستاذ عبد العزيز الدوري



Année No. 355

Lundi - 22 - 4 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

- ٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الإقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الاعوانات
تتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للعلوم والآداب والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
أحمد الزيات
الدورة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
مابدين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٥٥ « القاهرة في يوم الاثنين ١٤ ربيع أول سنة ١٣٥٩ - الموافق ٢٢ أبريل سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

النقابات الإسلامية

للأستاذ برنارد لويس

ترجمته الأستاذ عبد العزيز الدروزي



أكثر الكتاب والمؤرخون في سرد الواقع ، ووصف أجيال العصور وعظمة السلطان ، وجعلوا التاريخ سلسلة حوادث متفرقة متباعدة ، وأغفلوا التيارات الاجتماعية التي كان لها أكبر الأثر في سير التاريخ ، يظهر هذا خاصة في التاريخ الإسلامي . ثم تلبه بعض المستشرقين لذلك ، وحاولوا أن يمددوا بعض هذا التمس . ولدينا في هذه الرسالة (النقابات الإسلامية) عرض عام لنتيجة البحوث من أهل الصناعات والحرف في الإسلام . وقد ترجمت هذه الرسالة لأنها تعطي القارئ العربي فكرة من نظر بعض المستشرقين إلى بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في التاريخ الإسلامي . وقد نشرت هذه الرسالة في مجلة

Economic History Review, vol. VIII, No. 1937

ولكن النص العربي يعمى إضافات ومعلومات لم تنشر هناك ، وهي النتائج الأخيرة لأبحاث لؤلؤف من الموضوع ؟ إذ ناضل بإسقاطها كثيراً . (ع . د)

إن طوائف أهل الصناعات والحرف هي من أهم ظواهر الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى .

يتدر أن يجد الإنسان أولاً لسا تسميه روحاً مدنية (نسبة إلى مدينة) ، أو تنظيماً بلدياً (نسبة إلى بلدية) في البلاد الإسلامية فقد كانت المدن الإسلامية في القرون الوسطى وبقية القاهرة على الأغلب ، تتمتع بزهدها تجارى أو ثقافى لمدة قرن أو نحو قرن ، ثم تضائل أو تختفى . وهذا ندر وجود طوائف بلدية معينة ، أو وحدات متحضرة دائمة ، إذ أن روح التكافل والتنظيم الحلى التي كان لها أهمية كبرى في أوروبا في القرون الوسطى ، منمت من الظهور في الحقل السياسى بتأثير الأوضاع السياسية المضطربة في البلاد الإسلامية ، وسبقت تلك الروح لأن تجد لها منفذاً في الحياة الاقتصادية . وهكذا نجد في أسنان الحرف في الإسلام ما يساوى تلك الحياة المحلية القومية التي هي من أبرز مظاهر تاريخ أوروبا في القرون الوسطى .

كانت النقابات مهمة في الحياة الإسلامية لدرجة أن تخطيط

المدينة — التي كانت تبنى على أساس سوق تجارية — كان يقرر في كثير من الأحيان حسب حاجات أصحاب الحرف . فترى أن المدن الإسلامية من مرا كس إلى جاوة ظهرت بتأمل عجيب متمركزة حول ثلاث أو أربع نقاط أساسية

فأول نقطة ثابتة هي سوق الصرافين ، وهو مركز هام دائماً في النظام الاقتصادي الثنائى الأساس في العملة ، كما كانت الحال في البلاد الإسلامية في القرون الوسطى

ونجد حواله جاسى المكوس ، ثم دار الضرب (إن وجدت هناك واحدة) ، ثم سوق الزايدة ، ثم الخنصب وهو ملاحظ الأسواق . وهنا نجد المجالين أيضاً

والمرکز الثاني هو القنصرية — وهي بناءة محكمة تخزن فيها البضائع والثغاس الأجنبية ويحتمل أن يكون الاسم يزنطى الأصل . والمرکز الثالث هو سوق النزل — حيث يأتي النساء لبيع إلتافهم اليدوى . وهنا ترى التعامل بالهجات التي يشتريها النساء كالتصاين والبخازين وبأشئ الخضر الخ ...

والمرکز الرابع هو الجامعة أو المدرسة . وهي ملحقة عادة بمسجد ، وفيها يكون الطلبة والأساتذة نظام نقابة حقيقية . ويشتمل أهل الحرف حول هذه المراكز الأربعة ، كل صنف في سوقه الخاص . ويلاحظ من هذا أن توزيع النقابات يتبع هذا النظام في المدن المختلفة حيث توجد هذه المراكز الأربعة . دعنا الآن ننظر في منشأ هذه النقابات ، وهو بحث يلاحظ

فيه أنه لم يتقدم بالتدر الكافى

هناك رأى يقول بأن هذه النقابات هي متممة للنقابات البيزنطية التي سبقها ، إذ كانت توجد نقابات متعددة في المقاطعات البيزنطية كسوريا ومصر حتى القرن السابع الميلادى . وليس من المحتمل أنه قضى عليها من قبل الفاتحين العرب الذين كانت سياستهم كما نلم ترك الهيئات الإدارية والاقتصادية التي خلقها البيزنطيون كما كانت عليه تقريباً . ومع ذلك لا ترى أية إشارة إلى وجود نقابات إسلامية قبل القرن العاشر الميلادى ؟ أى يمد ثلاثة قرون (من بدء النتج) ، كما أن هذه النقابات كانت من نوع يختلف تماماً عن النقابات الموجودة قبل الفتح الإسلامى . وليس لدينا إلا ملاحظات قصيرة متقطعة (من النقابات) خلال

مذهب الطليقات العامة، وكلما ازدادت دراسة الباحث في الأدب الإسلامي في القرون الوسطى ازداد الانضاح من أن المذهب السني كان ينظر إليه في كل محل كدين طبقة مسيطرة، دين الدولة وميزة الأرستقراطية العربية الحاكمة^(١). وقد كانت هذه نظرية الفاتحين أنفسهم في الأدوار الإسلامية الأولى، ولقد كانت الأكرية الساحقة بين رعيا الخليفة — لقرون عديدة بعد الفتح الإسلامي — غير سنية تركه المذهب السني كرمز لسلطة طبقة أجنبية حاكمة تتمتع بامتيازات خاصة.

ومع ذلك كان الشعور الديني قوياً بين الطليقات العامة، وقد نبى هذا الشعور بظهور سلسلة فرق مترددة منشقة منذ القرن الثامن الميلادي حتى الفتح المغولي، وتتنصف جميع هذه الفرق تقريباً بفلسفة خاصة Symeneticist تحتوي عناصر مقتبسة من فرق سبقت العصر الإسلامي كالأفلاطونية الحديثة والمناوية والمزدكية وبفلسفة اجتماعية ثورية فيها عامل المساواة بين الأفراد وينظم سري يشبه النظام للانسوي، وهي عادة من أفراد من مختلف الطوائف Interconfessional مع درجات من التقشف والتهذيب، ونجد مثلاً عصبياً لتناجح هذه الفرق وفشل المذهب السني في حالة الهولنديين في الهند الصينية (أندونيسيا) والفرنسيين في أفريقيا الغربية، حيث على الرغم من قواها المتفوقة نجد البعثات المسيحية تتقدم بين السكان الوطنيين بنجاح أقل من نجاح الدعوة الإسلامية. فهنا أيضاً يرى الزنجي أو الإندونيسي أن المسيحية متصلة بمحكم أجنبي، فيفضل أن يكون مسلماً من الدرجة الأولى على أن يكون مسيحياً من الدرجة الثانية.

بلت هذه الحركات الدينية أوجها في القرنين العاشر والحادي عشر. فقد كانا مرحلتان تطوران صفات وتكتل حضري، فظهور نظام راق للبنوك مركزها بغداد، تغطي فروعها الإمبراطورية، ساعد على تهيئ الدولة بالقدود، وعلى حفظ النقود بصورة عامة أساساً للاقتصاد. وقد أثر هذا على التحويلات، فأنتج تركيزاً في رأس

هذه الفترة وأولها جملة في تاريخ ابن عذاري للراكني إذ يقول عن والي أفريقية والمغرب سنة ٧٧٠م (١٥٥هـ): «وكان يزيد (بن حاتم) هذا حسن السيرة قدم أفريقية وأسلمها ورتب أسواق القبروان وجعل كل صناعة في مكانها^(٢)»

ومع أن الكتاب الذي يحتوي هذا النص قد كتب في القرن العاشر فلا مانع من قبول صحة هذا الخبر وهو خير طريف في ذاته، إذ أنه يظهر أن الأمير العربي وضع المال والأسواق في القبروان، وهي مدينة جديدة بناها العرب الفاتحون، تحت نفس الإدارة والمراقبة كما كان يفعل الحاكم البيزنطي في المدن المجاورة. ولكن يظهر لي أن استنتاج وجود نقابات عربية في القبروان من هذه العبارة، كما فصل «فون كريمر Von Kremer^(٣)» و«أجر Atger^(٤)» غير مؤيد بالبيانات الموجودة.

وفي نهاية القرن التاسع الميلادي نجد عدداً لا بأس به من المصادر يشير إلى وجود شيء من نظام التكتل بين التجار وأصحاب الحرف. لكن هذه الأصناف لم تصل بعد إلى درجة يصح اعتبارها كنموذج للأصناف الإسلامية. وإنما هي مجرد تنظيم عام وضبط للأسواق والحرف من النوع للموسوف في المصادر البيزنطية المعاصرة^(٥). يمكن أن نستنتج من هذه الإشارات أن الأمراء المسلمين احتفظوا بأشكال السيطرة العامة التي كانت للإدارة البيزنطية على الحرف — على الأقل في معاملاتهم مع الصناع من غير العرب وغير المسلمين — وربما امتد ذلك حتى إلى المسلمين أنفسهم. وعلى كل حال فإننا نجد في القرن التالي تطوراً ظاهراً فيها يسمي بالأصناف الإسلامية، وحيث نجد منها ما نوع لا يصح تليله بالتأثير أو التراث البيزنطي. وتوجد نظرية أخرى بجانب هذه النظرية يتطلب فحصها الانتقال إلى موضوع قد يجهل غير المستشرقين.

بدأ المستشرقون في السنوات الأخيرة بتأكيد أن أكثر فأكثر أن المذهب السني في العصر الأول والخلافة لم يكن أبداً

(١) انظر Von Vloten - Recherches sur la Boménation الإسلامية (١٩)

Becher - Islam Léudien أنظر أيضاً Amsterdam, 1849

Bartold - musliman Culture, Calcutta, et 34. p. 72-6, 100-102

وما يسترى النظر أن انقسام بين السنة والمذاهب لا يناسب تماماً

التقسيم بين العرب وغير العرب. فالطبقة الحاكمة في فارس من عهد الدولة

الساسانية انحلت إلى المذهب السني بينما نجد الطليقات الفتية من العرب

في سورية والعراق تأثرت بالأفلاطونية ويزيدت أخرى

(٢) كتاب - البيان للرب في حلى المغرب - لابن عذاري للراكني

طبعة ليدن سنة ١٨٨٨ ص ٦٨

(٣) Von Kremer - Kulturgeschichte des Orients, Vienna (٢)

(٤) Atger - Les corporatims Tunisiennes, Paris, 1909 (٣)

Metz - Renaissance of Islam و Von Kremer راجع (٤)

(٥) انظر في موضوع هذا الموضوع في كتاب - البيان للرب في حلى المغرب - لابن عذاري للراكني

إلى استيعاب اللوام واستباحة أموالهم فيتوصلون به إلى آمالهم^(١) ومن الواضح على كل حال أن الحركة الإسماعيلية كانت مبنية على نوع من التفكير الحر تتعرف بقراءة الأديان جميعاً وتنبذ الشريعة الإسلامية ، وتستند إلى مبدأ من العدل والتسامح والمساواة القائمة^(٢) ؛ وبطريقة حاذقة من التفسير تروى بالفأذيل أسندت هذه المبادئ بنصوص من القرآن والكتب الدينية الإسلامية وكذا عوملت كتب اليهود والنصارى المقدسة بنفس الطريقة ...

وقد ذكر عبد الله الإسماعيلي في عرشه للأسس الاجتماعية للإسلام أنه « ما وجه ذلك إلا أن أصحابهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بناف لا يميل وهو الإله الذي زعمونه وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبداً من البت من القبور والحساب والجنة والنار حتى استعبدوا بذلك عاجلاً ، وجعلهم له في حياته وقدرته بعد وفاته خولا ، واستباح بذلك أموالهم بقوله : لا أسألكم عليه أجراً إلا اللوة في القبري (الشورى ٢٣) فكان أمرهم مهم نقداً وأمرهم مهم نسيئة ، وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون . وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها ؟ وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التبع والتعصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج^(٣) »

دوى هذا النص مؤلف سني توفي سنة ١٠٣٧ ، كتل من ذبغ للفرامطة وشك بعض الباحثين في صحته . لكن النص وإن كان ركيك التعبير ، فإنه لا يوجد فيه غير الخط من شخصية الرسول ، ولا يمكن تأييده بنصوص من الكتب الإسماعيلية القديمة القليلة أو التأخرة التي لدينا .

عبد العزيز الدردري

« يتبع »

(١) س ه كتاب فضائح الباطنية لفرزاق لفره كركه زهر طلبة ليدن ١٩١٩

(٢) وحتى الوقت الحاضر تجد أهل الحق أو - أهل حق - وم بنبة إحدى هذه الفرق تسكن في بنس فرى شمال شرق إيران تحفظ بديء من هذه الصفات فتحتوى إحدى قصائد التزنية هندم بالوحد بالان سيحاب السلاطين ، ويلاحظ البروفسور لينورسكى بصورة خاصة اللبزة الشعبية Popular لهذا الدين إذ يقول إنه « منتق بصورة خاصة من قبل الطبقات الوضيعة من بنو قزوين ودراوش وسكان المجلات البفيرة . . الخ » (لاحظ ملحق دائرة المعارف الإسلامية - مادة - أهل حق -)

(٣) س ه البندادى : الفرق بين الفرق ، القاهرة ١٩١٠ ، ٢٨١

٢٨٢ و

المال والعمل^(١) كما وقد انقو السريع في رأس المال حسب المنتظر مشا كل اجتماعية خطيرة . إذ نقرأ من سلسلة اضطرابات خطيرة في بغداد ، وعن ثورة الزنج في أسفل العراق في القرن التاسع ، ثم عن ظهور فرى دينية باستمرار . وفي هذا العصر زلزل العالم الإسلامى بحركة ثورية سياسية اقتصادية تقاتية في نفس الوقت أنتجت الخلافة الفاطمية في الذاهرة . فالحركة الإسماعيلية (أو القرمطية) - كما تسمى هذه الحركة تيمناً لاسم أم شعبا وأكثرها أهمية - تميزت بأراء حرة محبة ، إذ وجهت دعوتها إلى غثفل الفرق الإسلامية - من سنة وشيعة - وغثفل الأديان من يهود ونعاري ، وزرادشتية على السواء باسم الحركة الثقافية والعدالة الاجتماعية ، ويسمى البت في فلسفتها الحقيقية لأن مصادرها إما سنية فتكون شديدة العداء متحيزة ، أو إسماعيلية تنتمى إلى عصر متأخر عند ما طرأ على المبادئ الأولى تعديل واسع . فتلا نرى أن نثر الدين الرازى وصف النزالي والتهرستانى والبندادى بالتعصب وقلة فهمهم لأراء خصومهم . إذ روى عن حديث له مع السمودى عن الكتب قال : « فقد ذكر للسمودى كثيراً منها إلى أن ذكر كتاب الملل والنحل للشمس رستانى . فقلت : نعم ، إنه كتاب حكى فيه مذاهب أهل الملل زعمه إلا أنه غير معتد عليه ، لأنه نقل المذاهب الإسلامية من الكتبسمى بالفرق بين الفرق ، من تصانيف الأستاذ أبى منصور البندادى ، وهذا الأستاذ كان شديد التعصب على المخالفين ، فلا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه الصحيح^(٢) ، وقد أدرك للنزالي الخاصة الاجتماعية للمذاهب للنشقة ، وقال في الكلام عن الباطنية : « فاستبان أن ما ذكروه تليس بيد عن التحقيق وأن المعانى المتخذه به في غاية العمى ، لأنهم يلبسون على اللوام » ثم قال أيضاً عنهم : « فها هوذا من خطر انطاعاً مستحق عن نفسه عند المحصلين من أهل الدين ، وإتباعاً يظلم به الأمر على اللوام النافلين عن أسرار الشرع » . وعند الكلام على الدعاة الباطنيين قال : « وهؤلاء الدعاة طواشوا على هذا الاختراع ليتوصلوا به

(١) أنظر كتاب Fixth, The Ougui of baohingui Medieval, 1931 p. 339 - 561 M. et. Islam. J. R. A. S. 1931 p. 339 - 561

(٢) لاحظ ملحق مناظرات نثر الدين الرازى ص ٢٦٢ ، القاهرة سنة ١٩٢٧

8me Année No. 356

Lundi - 29 - 4 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٣٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلونات

يتفق عليها مع الإدارة

المرصد

مجلة أسبوعية للعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المنشول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشوارع المبدولى رقم ٣٤

ما بين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٥٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٢١ ربيع أول سنة ١٣٥٩ - الموافق ٢٩ أبريل سنة ١٩٤٠ » المنة الثامنة

اليدوية وتبويبها وتصنيفها ونيلها . وهما بصورة خاصة للفقرة التي قسم فيها الدين لا يمتنعون الحرف كما يلي : قسم لا يمنح الحرف كبرياء وأنفة ، وقسم لزهده كالأنبياء ، وقسم بقلدها لسكره وقلة نشاطه كالشعاعين وغير الناهرين من صناعات أو لثراخ في الطبيعة وضعت في العقل كالنساء وما يشبههن من الرجال . فالإشادة المقصودة بأصحاب الحرف بينة ، والأمثلة الأخرى على اهتمام الإسماعيلية بالحرف كثيرة . وهناك عامل ثان وهو الفرق بين وضعية الطوائف في عهد الفاطميين وبينها في عهود الدول السنية . إذ كانت الطوائف تحت الحكم التي مضطهدة وخاصة لتقيود لاتعد ، وعمرومة من حقوق قانونية . وكان هناك موظف حكومي يدعى المحتسب مهمته الأساسية مراقبة الطوائف وقتل أية محاولة للعمل المستقل فيها منذ البدء ، ولدينا أدب جميع ضد هذه الطوائف يظهر قلة ثقة الدول السنية بها ، ويظهر ذلك خاصة في كتب الحسبة أي الكتب التي كتبت لغاظة المحتسب عن خطر أهل الصنائع وعن أحسن الطرق للسيطرة عليهم ، وقد وصلتنا هذه الكتب من محلات متباعدة كالقاهرة وحلب ومالقة

نلاحظ الفرق في وضعية الأصناف تحت حكم الفاطميين ، إذ كانت تتمتع برحمة عظم . فقد كانت معترفًا بها من قبل الدولة ، ويظهر أنها كانت تتمتع بامتيازات كثيرة ، وأنها لعبت دوراً هاماً في النشاط التجاري الذي حصل في العهد الفاطمي ، ففي هذا العصر نشأت نقابة الأساندة والطلاب التي تولت الجامعة العظيمة أي الأزهر التي مر ذكره . ثم قضى صلاح الدين على الخلافة الفاطمية ١١٧١ م ، وأعيدت مصر إلى الحكم الذي وفي الحال جردت الطوائف من أكثر حقوقها وامتيازاتها وأخضعت لنظارة دقيقة

وهناك عامل ثالث يؤيد هذه النظرية ، وهو الأثر القوي الذي تركه النفوذ الإسماعيلي في الطوائف بعد اختفاء الدعوة الإسماعيلية بزمن طويل . إذ يقول الأستاذ كوبرلي (١) إن الطوائف في أمانويليا في القرن الثالث عشر كانت لا تزال تحتفظ بنظام متدرج في التشييع يشبه بدقة النظام الإسماعيلي ، كما أن

النقابات الإسلامية

للأستاذ برنارد لويس

ترجمته الأستاذ عبد العزيز المروري

— ٣ —

كانت الحركة الإسماعيلية قوة تهديدية عظيمة ، اختصت بإنشاء مدارس وجامعات أشهرها جامعة الأزهر في القاهرة وتصنيف دائرة صافر واسعة تذكرنا بحركة التأليف الأسكوبيدية في فرنسا في القرن الثامن عشر . وفي هذه الموسوعة السبابة « رسائل إخوان الصفا » نجد تقريباً كل الآراء النقدية في ذلك العصر وإشارات قليلة دقيقة إلى نظم تشكيل الجماعات ، ومنها نظم وجود جماعات لإخوان الصفا في جميع أنحاء الإمبراطورية تعمل لبث آرائها بين كل طبقات الشعب وخاصة بين الصنائع وأصحاب الحرف (١) يرى الأستاذ ماسنيون أن الحركة الإسماعيلية هي التي أوجدت الطوائف الإسلامية وأعطتها ميزتها الخاصة التي حافظت عليها حتى الآن ، إذ يقول : إن الطوائف الإسلامية كانت قبل كل شيء سلاحاً شهده الدعاة الإسماعيليون في كفاحهم لضم الطبقات العاملة في العالم الإسلامي لتكوين قوة منهم تستطيع قلب الخلافة وكل ما تشاء ، وللتوصل إلى استغلال أصحاب الحرف أوجدوا الطوائف وسيطروا عليها . وهكذا أصبحت لها مخاضات : (أولاً) كونها أصنافاً للحرف و (ثانياً) كونها مؤسسات أخوية إسماعيلية (٢)

دعنا ننحس الدلائل التي تؤيد هذه النظرية . يجب قبل كل شيء ملاحظة اهتمام الإسماعيلية بالمعالم بطبقات أصحاب الحرف فقد خصص فصل كامل في رسائل إخوان الصفا للنظر في الحرف

(١) رسائل إخوان الصفا . القاهرة ج ٤ ص ٢١٤

(٢) لم يصل الأستاذ ماسنيون من الأسف بنظرته إلى النهاية إذ أنه يقول إن المصادر لا تزال غير كافية La Passion d'al-Hallaj Paris. 1922, Vol P. 63, 399, 410 لاحظ الأسكوبيديا الإسلامية . مادة نقابة . صنف . شد

من هيكل موروث من العالم اليوناني الروماني وسلسلة من الآراء جاءت على الأخص من الحضارة الفارسية الآرامية وأنتجت حركة إسلامية إغريقية تهذيبية فلسفية نكتلية (على هيئة جمليات) في نفس الوقت

وفي أوسط القرن الثالث عشر حدثت فاجعة الفتح المغولي الذي حطم الخلافة وأخضع المسلمين من سنين وغيرهم على السواء إلى سيطرة شعب أجنبي كافر، وأفصى إلى طمس التمييز الاجتماعي بين الاثنين « السنة وغير السنة » وسمل نوعاً ما اعتناق الجماهير للمذهب السني . وبإخفاء الحركة الإسماعيلية تخرج مركز الأصفان في المجتمع السني ، إذ بقيت بعض الصوفيات ، فأحباب الحرف بقوا غير آمنين في نير الطبقات الحاكمة في الدولة . وربطوا أنفسهم ببول دينية هي وإن لم تكن خارجة عن الدين لم تكن دائماً فوق الشك ، وهذا هو التصوف ، فإلى زمن قريب كانت تصدر بعض التهم من علماء السنة ضد الأصفان كالأحكام التي أصدرها الفقيه السوري العظيم ابن تيمية ، أو التي أصدرها الشيخ المباني (ميتري بلرادي) في القرن السابع عشر . وعلى كل حال رغم من كل هذا المدا كانت حالة الأصفان في الفترة التي تلت الفتح المغولي متوطدة ، واستمرت كذلك حتى حركة الإصلاح للترك في القرن التاسع عشر التي انتهت خطة أدت إلى انحطاط الأصفان بصورة عامة . وترجع أكثر الوثائق وكل الأخبار التي لدينا عن النظام الداخلي للأصفان إلى الفترة التي تلت العهد المغولي

وقبل النظر في النظام الداخلي يجدر بنا أن نفحص مشكلة هامة في تاريخ الأصفان الإسلامية . فحوالي نفس الوقت الذي نجد فيه الأصفان تخطط بطرائق الدراويش والصوفية نجدها على اتصال أشد بنظام جديد وهو الفتوة . أما أصل حركة الفتوة فغامض جداً ، وليس هذا محل البحث من ذلك . وبكفي القول بأن تشكيلات الفتوة انتشرت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر في جميع البلاد الإسلامية . وجمية الفتوة هي مجموعة شبان (فتيان) يربطهم قانون أو دستور ديني وأخلاق يحتوي على واجبات وشعائر منظمة . فهم مسئولون عن ممارسة بعض الفضائل والقيام بخدمة عسكرية غير الإسلام . ويظهر من هذا

دراسة أصناف مختلفة في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي أظهرت آثاراً مماثلة . وتظهر رسالة لأحد الأصفان المصرية كتبت في القرن السادس عشر - كتاب التآثر والتصحف في بير الصنائع والحرف - كرهاً شديداً للحكم المباني الذي يعتبر سبب تعاسة رجال الأصفان ، ويجدد في الرسالة فكرة انتظار المهدي لينقذ البؤساء

وهكذا نجد الآثار الإسماعيلية التي هي ضد التعاليم السنية تستمر بين الأصفان ، ونلاحظ العبارة التالية في هذه الرسالة « إن العلم بطائفة وبعد أن تذهب دولة المباني يطالبونه ويقوم سيدي محمد المهدي لسلك حرفة لها صدر في الصحابة وبأمرهم باتباع الطريق فيدخلون السجاج ويسألون كل تقب عارف بصير الأمر له محتاج حتى يقوم الدين ويصلح اليقين ويبطل القصد والثلاث ويضرب أعناق النقباء الجاهلين وللشايخ المتلبسين »

وأهم من ذلك وجود أفراد من طوائف مختلفة بين أفراد الأصفان ، وهي خاصة تميز هذه الأصفان بدقة عن النقابات الأوروبية ، إذ يقبل المسلم والمسيحي واليهودي تحت نفس الشروط فيها ، حتى إن بعضها يقبل فيها غير المسلمين كأصفان الأطباء والصيادلة بالمعادن الثمينة... الخ. وهذا يظهر الرابطة الدقيقة بين الأصفان والدعوة الإسماعيلية

يتضح من كل هذا أن الحركة الإسماعيلية لبنت دوراً هاماً في تطور الأصفان الإسلامية ، وأنها تركت أثراً عميقاً خالداً في حياتها الداخلية ، وإن لم يوجد برهان واضح بين أن الحركة الإسماعيلية أوجدت الأصفان^(١) ، ولكن الأكثر احتمالاً هو أن الإسماعيلية أعطت مصدراً جديداً ومعنى جديداً لتشكيلات كانت موجودة من قبل . فهل كانت هذه التشكيلات من أصل بزنطي ، أو كانت تقليداً لمؤسسات بزنطية معاصرة خارج حدود الامبراطورية الإسلامية ؟ هذا ما يستحيل البت فيه . فآثار تشكيلات الحرف في الفترة التي سبقت الحركة الإسماعيلية والعالم الإغريقي العظيم في الأفكار يؤيد تفسيراً من هذا القبيل وهكذا تكون النقابات الإسلامية عبارة عن نظام يتركب

(١) لمفسداً الحد قبلت نظرية ماسينيون من قبل (كوبرلي) و (كوردنسكي) . أما (تندر) فيؤيد البت لأن البيت من يتم .

من شعر الربيع

عَيْنَاكَ...!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

عَيْنَاكَ لِي قَبْسَانِ فِي زَمَنِ النَّجْمِ هَادِيَانِ
وَسَمَاعَاتِنِ مِنَ الْعَالَمِ رَوْ وَالتَّنَاسُخِ وَالتَّحْنَانِ
وَسَكِينَتَانِ بِوَاخَةٍ سَجَوَاءِ عَذْرَاءِ الْجَنَانِ
مِرُّ الْإِلَهِ بِهَا خَسِيٌّ الْفَيْبُ مَقْصُومُ السَّانِ
أَشْجَتْ حَيَاتِي مِنْهُمَا فِي وَحْدَتِي أَشْوَكَانِ
تَهَادَلَانِ عَلَى رُبَابٍ لَمْ تَلَايْنَهُ بَنَانِ
عَيْنَاكَ لَوْ تَذَرِينِ فِي حَصْرَاءِ عُجْرِي وَاحْتَانِ
وَبُحْبُوحَتَيْنِ بِهَالِمٍ فَوْقَ الْقُبُوبِ زَهِيدَتَيْنِ
بِالْمُحِبِّ وَالْأَنْفَامِ وَالْخَيْرِ الْقُدْسِ تَحْفَتَانِ
إِلَهُ أَكْبَرُ إِلَهِي مِنْ نَائِي رَبِّكَ هَمَّتَانِ
وَمِنْهَا لِرُوحِي فِي السَّنَا أَلْجَأْتُ لِقَائِكَ عِيَادَتَانِ
بَلِّ تَشْوَتَانِ، وَسَجَدَتَانِ، وَفَتَنَتَانِ، وَتَوْبَتَانِ
وَمَا لِي بِهَيْبَتِي لَوْ عَلِمْتُ مِنَ السَّيَاءِ تَهْمَتَانِ
تَقِينَانِ قَلْبِي مِنْ أَدَى الدُّنْيَا وَشَفَوَّةِ الزَّمَانِ
... ..
عَيْنَاكَ عَيْدُ سَنَاهَا بَهْنِي وَلَا ...
... لَا تَذَرِينِي أ

(دبران المار)

محمود حسن إسماعيل

مجموعات الرسائل

نبايع مجموعات الرسالة بجلية بالأمان الآتية :

السنة الأولى في مجلد واحد ٥٠ قرشاً، و ٧٠ قرشاً عن كسنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة في مجلدين .

وفلك حسداً أجرة البريد وتدرجها غرة فروش في المجلد وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد

أن الفتوة تشكل نظاماً إسلامياً يوازي الفروسية عند الأوربيين حتى أن فون همر Von Hammer ذهب إلى أن أصل الفروسية الأوربية إسلامي^(١)

وفي الفترة التي تلت الفتح المنولي مباشرة نجد الفتوة تميل أكثر فأكثر إلى الانصاف بالطرائق الصوفية وبأسانف الحرف بواسطة رابطة المنصوية (أي الانتهاء إليها في نفس الوقت) . بدأ هذا التطور في الأناضول، وانتشر بسرعة في أنحاء العالم الإسلامي، ولم يمض زمن طويل حتى أصبحت كلتا صنف وفتوة ذاتي مدلول واحد . أما كيف بدأ هذا الامتزاج، وعلاقة هذه التشكيلات المختلفة، فأمر غامض لم يوضح بصورة كافية حتى الآن^(٢)

يلاحظ تاشنر Taeschner ثلاثة أدوار في تاريخ الفتوة، وهي ثلاث خطوات لانحلال اجتهاد مطرد : فيقول إن حركة الفتوة بدأت كحركة فروسية أرستقراطية، ثم تحولت فصارت حركة الطبقة المتوسطة في القرن الثالث عشر، وأخيراً انحلت في القرن الخامس عشر إلى أكثر من ذلك وأصبحت حركة اللوام . وهكذا اندمج اللينيان في أسانف الحرف . ومن جهة أخرى يقول ثورننج أن الصوفيين وأصحاب الحرف قلدوا جميمات الفتوة مقتبسين شعارها ومثلها العليا وأخيراً اسمها . وأكثر هذه التعليلات إقناعاً هو تمليل (كوردلفسكي) الذي يتفق مع كوبرولو^(٣) على أن زمن اندماج مجموعات الفتوة بالأسانف هو في القرن الثالث عشر في الأناضول، ويربط ذلك بنظام هام هو نظام (أخيان روم) أو (أخوة الأناضول) . فقد ظهرت أخوة في الأناضول لأول مرة في السنوات التي تلت الفتح المنوي مباشرة، إذ كانت الفترة فترة فوضى واضطراب عام ؛ فالغول الذين دحروا الدولة السلجوقية هجروا عن التوحيش فيها، وبذا اضطربت الإمارة، وفي هذا الدور الحرج تظهر الأخوة كمؤسسة قومية واسعة لها الرغبة والقدرة على التنظيم .

(يتيم)

عبد العزيز المصري

(١) لاحظ ، J. A. 1899, p. 5
Von Hammer : Sur La Chevalerie des Arabes

(٢) لاحظ ، Z. D. 1933, p. 6
Taschner—Die Islamische Futuwotbünd. M. G.

(٣) كوبرولو 112—110—8, 76 Les origines

9me Année No. 357

Lundi - 6-5-1940

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ نحن للمدء الواحد
اوهونات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفن

ARRISSALAH

Révue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
الوزارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٥٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٨ ربيع أول سنة ١٣٥٩ - الموافق ٦ مايو سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

التقابات الاسلامية

الأستاذ برنارد لويس

ترجمته الأستاذ عبد العزيز العروى

— ٣ —

وتظهر السلطة الثمانيّة وتوحدها فقدت الأخوة كثيرًا من سلطتهم ونفوذهم ، وبعد مقاومة هنيئة غير ناجحة اضطروا إلى التخلي عن مهمتهم السياسية والعسكرية ، ولكنهم لم ينحطوا أبدًا إلى درجة أصحاب حرف عادية فقد استمرت بينهم روح العصر الأول . وحافظت الطوائف حتى للقرن العشرين على حياة روحية داخلية وقانون أخلاق

وامتزجت نظم الطوائف والفتوة والأخوة في الأناضول بسرعة وتم ذلك في كل البلاد الإسلامية المتوسطة (سركاز) في القرن الخامس عشر . وقد جاءت معظم وثائقنا عن النظام الداخلي لهذه الطوائف بواسطة طوائف الفتوة . فكان لكل طائفة قانون يحتوي على قواعد وعادات وشعائر يثقل بعضها . وكان هذا القانون يرفق بالدستور (كلمة فارسية معناها : إذن . ومؤخرًا . نظام) وكانت تكتب هذه القوانين في بعض الأحيان وقد وصلنا عدد كبير من هذه الكرايس ترجع إلى القرن الرابع عشر وما بعده . ويعتبر كتاب الفتوة أو (فتوة نامه) كما تسمى هذه الكرايس بالبرية والتركزية هل التوالى مع عدد من كتب الرحلات والجغرافيا المصدر الأساسي لمعلوماتنا^(١) وتناقص جميع هذه الكتب تقريبًا حسب خطة واحدة من ثلاثة أقسام . القسم الأول يحوى أساطير تتعلق بأصل الحرفة ومغامرات مؤسسها الذى تنتمى إليه ، وهى تعنى مادة حلقة من التنشئة مثلاً : الله علم جبريل ، وجبريل علم محمد ، محمد علم عليا ، على علم سلمان الفارسي ، وسلمان علم الأبيار (ومهمة أصحاب الحرف حسب تقاليدهم) والأبيار علموا الفروع (ومهمة الحائزات للفروع) للشعب المختلفة لأصحاب الحرفة الواحدة) . وهؤلاء الفروع علموا بدورهم رؤساء الأستانات النادين . وهذه الأساطير تظهر مادة تأثير أخويًا للإسماعيلية والصفوية . القسم الثانى : يحوى مادة قاعة بأسماء الأبيار والفروع لمختلف الحرف ، وهؤلاء عادة أشخاص اقتبسوا من القدوة والقرآن ومن التاريخ الإسلامى ، وهكذا نجد آدم حائى الفلاحين والخبازين ، وشيث حائى الحياكة والخياطين ، ونوح حائى التجار ، ودادود حائى الحدادين وللمصياغ وأبراهيم حائى

انتشرت حركة الأخوة بسرعة في المدن والأرياف . بالتكتل والكرم . كدستورهم ، وطبقة أصحاب الحرف كأساس اجتماعي لهم ، وقتل الطغاة وستانهم كواجب من واجباتهم ، فكانت حركة اجتماعية سياسية دينية عسكرية في نفس الوقت . وقد لاحظ أحد الزائرين في عهد متقدم أن أعضاء كل جمعية من جمعيات الأخوة كانوا أصحاب حرفة واحدة . ولا بد من أن اتحاد الاتحاد التام لجمعيات الأخوة مع الطوائف قد حصل في زمن متقدم ، وربما كان ذلك في بدء حركة الأخوة . كأن حركة الأخوة لم تكن مجرد تنظيم لأصحاب حرفة واحدة ، وإنما جعلوا واجهم حفظ العدل ووقف الظالم عند حده ، واتباع قانون أخلاقى ودينى ، وتنفيذ واجباتهم العسكرية إن دعت الحاجة للدفاع عن حقوقهم . ولم تكن العضوية مقصورة على المسلمين فقط إذ نجد عدد المسلمين حفيًا جدًا في طور متأخر

وهكذا تحقق في حركة الأخوة لأول مرة اتحاد الطوائف والفتوة والطرائق الدينية . وقد أتى كوردنفسكى ببينة متممة تؤيد تأثير الطوائف بالنفوذ الإسماعيلى إذ يلاحظ الأستاذ أثرًا قويًا لأفراد ابتداعية (لا توافق قواعد الإسلام) عند الأخوة ، ويرجع أصل ذلك إلى إخوان الصفا . ويذهب (كوبولو) إلى أبعد من ذلك ويؤكد أن الأخوة كانوا في الحقيقة متطرفين ملحدين في بدعتهم وخروجهم وأنهم من طراز القرامطة أنفسهم^(٢)

ولدينا وصف هام للأخوة في الأناضول ورد إلينا في رحلة ابن بطوطة من أهالى طنجة زار الأناضول في القرن الخامس عشر الميلادى^(٣)

(١) تمح ملاحظة أن (تفسر) يتكرر أى أثر إسماعيلى في حركة الأخوة ويظهر من سبيل قبل كل شيء

(٢) ابن بطوطة طنجة باريس ١٨٥٤ ج ٢ ص ٢٦٠ وما بعدها . غنى (تفسر Taeschner) مخطوطة أخوة متممة ترجع إلى القرن الرابع عشر تنسب إلى يحيى بن (خليل) . وفى هذه الرسالة نلاحظ ثلاث درجات يكتفى فى أخيه شيخ؛ والفرحة الأخيرة نظرية أكثر منها عملية

== الآن أن يبدو رؤس الاختيمات الأسبوعية وتعلم وتنشئة البعثين . وكان البكر (حيان) يتصون إلى صوتين : أول وسبق . ومن الصنف الثانى بين الأخوة المحدث في سالة الفراع . وهناك موظف دائم يدعى القتيب أو رئيس الحفلات

(١) ص ١٠٥ أترال أكثر هذه الكرايس باستثناء اثنين أو ثلاثة خلية موزعة في أوروبا وآسيا في الشبكات المامة والحامسة لنظر المامة

راجم : Thörning, Breitlage p. 15-54

إلى الطائفة ، ويدربه أستاذ في شئون حرفته كما يحصل على دراسة أخلاقية في الزاوية في نفس الوقت . وإذا تلمذ الجراف لأستاذ معين ، فعليه أن يتي مع أستاذه ولن يقبله أستاذ آخر كتلميذه . وفي نهاية هذا الدور يطلب منه عمل شيء مثالي متقن في صناعته ثم يجاز في حفلة عامة من قبل — الأصناف بانى — أى شيخ الحرفة ، وال — يكتم بانارى — أى الاختيارية ، وبعد هذا يصبح خلفه^(١) ويجب عليه أن يبقى ستة أشهر على الأقل وبعد انتهائها يستطيع أن يمارس حرفته كأستاذ — وفي هذا يساعده أستاذه وغيره من الأساتذة من الوجهة المالية عامة .

رأس للطائفة هيئة تسمى لونغية هي Lonca Heyeti تشكل من شيوخها أى الرجال المسنين^(٢) ويكون للقرار النهائي الرئيس الذى ينتخب عادة لتقواه . ويجتمع الهيئة مرة كل أسبوعين ، وينفذ الأوامر واللقويات الجاويش أوام — أوش بانى — ويحرص الطوائف كثير على كيفية نوع المنتج ويمتص صاحب الإنتاج الردى بطرده مؤقتاً من الطائفة تشتري المواد الأولية تحت رقابة الشيخ ، ولأصحاب الحرفة الفقراء حق الأقمعية في هذا على الأغنياء ، ويمتد اجتماع عام سنوياً .

يمكننا أن نلاحظ الدور الهام الذى يلعبه اللباس الخاص لرجال الطوائف في حياتها . فبذات الفتوة الظاهرة في أوائل عهدهما كانت السروال ، وبشكل الكتاب العرب عن ليس السروال كلمة للاتباء إلى الفتوة ، ثم أصبحت هذه العادة منبهة في الطوائف ، وصارت حفلة الانتهاء إلى عهد قريب نصف بارداء بعض اللباس ، وصارت السروال والشدة والحزام والبشمال أو اللصيرية . وحى الأثم من بين اللباس .

لدينا وصفان مفصلان للطوائف الإسلامية يستحقان الفحص كل على انفراد أولها وصف في رحلة سائح تركى يدعى — أوليا جابى — الذى صنف قائمة مفصلة بأسماء الطوائف وهيئات أصحاب الحرف في أوائل القرن السابع عشر بناء على طلب السلطان ، وفي هذا المؤلف نجد لأول مرة وصفاً كاملاً لنظام الطوائف في مدينة إسلامية . يبدأ أوليا جابى وصفه للطوائف بفتوت ثمة — كتاب الفتوة — الذى يظهر أنه نص منقول يحتوي على الأساطير والتعاليم الاحتياطية وكذا وصفه حفلة الانتهاء

الطباخين ، وإسماعيل حاي صناع الأسلحة . والقسم الثالث يحوى التماثيل لتقنيات البتديين ، والأسئلة فيه تظهر اتصالاً قوياً بأراء افسراويز . ويمكننا من هذه الكرايس (كتب الفتوة) أن تصور نظام الطوائف لمدة ما . ويحسن بنا أن تذكر في عهدنا هذا أن وثائقنا جاءت من حقل تاريخى يمتد منذ القرن الرابع عشر حتى القرن العشرين ويشمل كل البلاد الإسلامية . ومنه ما كان للتشهير قليلاً خلال القرون ، فإنه يوجد تباين على عظيم . لذا سنحاول أن نعطى صورة شاملة مع ملاحظة الفروق الأساسية فيما للحل والزمن برأس الطائفة الشيخ^(٣) ينتخبه الأساتذة من بين رجال الحرفة ، وبعد انتخابه يكون حاكم للطائفة الأواحد ويجمع وظائف رئيس وأمين صندوق وكاتب ، وهو (أى الشيخ) موجود في جميع الطوائف الإسلامية وفي بعض الطوائف كطوائف مصر في القرن السادس عشر الوصوفة في (خطوط كونا) ونجد له مساعداً ، وهو النقيب ، ومزنته بالنسبة إلى الشيخ « كزلة الوزير من السلطان » ويظهر أنه كان رئيس التنفيذ لأوامر الشيخ ومنظم الحفلات أيضاً . وبليه الاختيارية أو المسنون بين أساتذة الطائفة يتعاونون معه على إدارة الطائفة ، ثم بانى الأساتذة ويدي الواحد عادة أسقى أو أحياناً (سمل) ، وهم يشكلون القسم الرئيسي من الطائفة . أما الصانع فلا يملك دوراً هاماً في الطوائف الإسلامية ولا وجود له عادة إذ يكون الانتقال من مبتدى إلى أسقى رأساً ، ويوجد في بعض النقابات دور وسط يدي العامل في خلاله خلفه أو خليفة ، وهذا الدور وقتى فقط

وتم الحلقة بالمبتدى وفي أغلب الحالات لا يحدد وقت للدور الذى يقضيه المبتدى ولا يطلب منه صنع شيء مثالي متقن جداً Masterpiece بانى المفهوم عند الأوربيين . فزمت البراسة والأجزة وبين من قبل الأستاذ الذى يشتمل معه المبتدى . وتختلف النصوص في مسألة تطبيق النظام فيقول البعض إن الشيخ يطبقه أو ينفذه منفرداً . ويقول آخرون إنه يفعل ذلك بمساعدة الاختيارية هناك نوع آخر من التنظيم في الطوائف الأناضولية الفأخرة وصفه كوردلفسكى إذ يطلب هنا من المبتدى قضاء ألف يوم في هذا الدور . كما أنه لا يأخذ في هذا الدور أى أجر ولكن له الحق أن يحصل على بعض المكافأة (البقيش) ووليمة عند انتهاء

(١) راجع Gordlevsky - R. E. I. 1934, p. 81 off.

(٢) يقول كوردلفسكى نظراً لثة رأس المال كان يعد دور الحلقة إلى أكثر من ستة أشهر .

(٣) يعرف الشيخ أيضاً باسم (أمين) وصراف ، وأحياناً قبيب إذا احتض رتبة النقيب كرتبة صفقة يسمى الشيخ في تركيا — أسقى — وفي آسيا الوسطى يسمى — أى صفال —

ونلاحظ كبداً عام أن كل شمية رأسها شخص واحد ، و عادة رأس العائفة المهم في الشمية ووظيفته أرفع وظيفة، أما لشدة القليلة التي يترأسها موظفون كـ (سوابي) ، فهي مستثنيات ، والسبب هو كون الحرف نفسها رجمية أو شبه رجمية ، وتتمثل الطوائف عرضاً تماماً على هيئة استعراض صرة واحدة ستوياً ، ووصفه أوليا كما يأتي : « يبدأ اللوكب الملوك بالسر وقت الفجر ويستمر اللوكب في السير طول النهار ، حتى الغروب ، يفتتح الاستعراض من قبل الجاوش لـ للمسمى الاى جاوش وبناش اللوكب أنى رجل والسلك مدجج الصلاح كاه يمر زاهر ، ومن العادة المتبعة أن كل طائفة عند الوصول قرب الحديقة الجديدة أمام تذكار خسرو باشا تمرض نفسها أمام بيت قاضي استانبول لأنه صاحب السلطنة لتفتيش جميع الأوزان والمقاييس ، وجميع الطوائف . وهناك قاعدة أخرى وهي أن كلا من هذه الطوائف يهذى إلى قاضي القسطنطينية البضائع التي عرضوها في معرض عام . ولكن بعض هذه البضائع كان يخفى بهذه المناسبة ، وبعد تقديم الاحترام لأول حاكم في العاصمة تمسح الطوائف رؤسها في حلقها المختلفة وينصرف كل إلى بيته . وتتوقف كل تجارة وحرفة في القسطنطينية بمناسبة هذا الاستعراض لمدة ثلاثة أيام بأجلاً خفيف وفوضى الاستعراض ، ويظهر أن أهمية عطية كانت تمنح على نظام الأندمية (في السير) : ويعلى أوليا جلي وصفاً مختصاً نزاع من هذا التقبيل (أى حول حق الأندمية) بين القضاة وبين نجار مصر ، ثم صدر الحكم النهائي من قبل السلطان في جانب النجار (ينتهي)

إلى الطائفة. أما تركيب الطائفة الذي يحويه الوصف فهو الشيخ (الرئيس) والفتى (نائب الرئيس) والجايش والأوسطة (الأستاذ) ثم الشكاره (المبتدى) . أما الصانع أو العامل البسيط فيلاحظ أنه لا ذكر له

ثم يمدد (أوليا جلي) جميع الطوائف الموجودة تحت سلطة الملالي (جمع ملأ) الأربعة في القسطنطينية مع عدد حوائثهم ورجالهم وشيوخهم إذ ينقسمون إلى سبع وخمسين شعبة تحتوي مجموعها على ألف طائفة وطائفة تحوى الشعبة الأولى طوائف الجواویش (ج جاویش) وموغانی البولیس والغانان والانكشارية الجدد (أك أو غلان) والرايلى والتفندلية (حفار النور - الحانوية -) وممال النانج ، والبطلجة والأحداث Minors والنقاش . وفي الماراض العامة يتقدم هؤلاء في السير لأن من واجهم تنظيم أو تسوية الطرق التي يسير عليها الآخرون بدم . أما الشعبة الثانية فهي تحت إدارة رئيس الطوائف Asas - Basi الذي عين هذا المنصب من قبل السلطان محمد الفاتح (١٤٥١م - ١٤٨١م) وهي تحوى على أصناف المسس وللشرطة والجلادين ، والبصوص ، وقطاع الطرق ، وزمرة المدحرجين (في العسكرية أو البحرية) وسواس الخيل ، وعمرى الخيل ، والحرس . وبين أوليا أن أصناف البصوص ، وقطاع الطرق ، وكذلك الفلوسون وغيرهم من مذنبى الأخلاق لا يظهرون في الماراض العامة ولا يعرفون شخصيا ، ولكنهم يدفعون خوة (خريبة) لرئيسي الشرطة المدعوين (أس بائى) (وسو بائى) لا يتسم المجال هنا للنظر في وصفه لتسليم والخمسين شعبة ،

[illegible]

8me Année No. 362

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ عن العدد الواحد
أوهونات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للدراسات العلمية والفنية

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 10 - 6 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها الشول
احمد الزيات
الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدول رقم ٣٤
مادين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٣٦٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٤ جادى الأول سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٠ يونيه سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

النقابات الإسلامية (*)

للأستاذ برنارد لويس

ترجمته الأستاذ عبد العزيز المروري

[تسعة]

بأن مصدرنا الثاني من النصف الثاني للقرن التاسع عشر .
في سنة ١٨٨٤ م قدم إلياس قدسي (وهو سوري) إلى مؤتمر
المستشرقين الدولى نتائج بحثه في السنة الثالثة من طوائف
« دمشق »^(١) ويجب اعتبار هذا البحث مصدراً تاريخياً وإن كان
حديث العهد، لأن معظم ما يصنفه قد اختفى دون أن يدرس ثانية
يخبرنا قدسي أنه كان على رأس جميع طوائف المدينة (شيخ
الشايع) وكان هذا المنصب وراثياً في عائلة خاصة ، ولا يمكن
انتخابه أو إقالته أو استبداله بشخص آخر . وكان دوره قابلاً

(*) راجع الأعداد : ٣٥٠ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ من الرسالة

(١) راجع بحث إلياس قدسي عن النقابات في دمشق في أبحاث مؤتمر
المستشرقين الدولى في جلسته السادسة ١٨٨٤ ص ٣ وما يليها ، والبحث
بالبريسية .

كيف قلت في نقتة ؟ كان مجنوناً تنشئ له أعصابه الربيضة
المالكة مازنها التي لا حقيقة لها في حقيقتها هي ... ! ! نعم ،
ربما كان ذلك صحيحاً من بعض وجوهه ، ولكن على يقين من
أنك لا تكاد تعرف وجه الحق في تأويل هذا الوصف . لا بأس
ومع ذلك ، فأى هذا الناس ليس مجنوناً على الحقيقة من بعض
نواحيه ؟ إنك لو وجدت فتبنت تاريخ الإنسانية كله لم يخلص لك
من أصحاب العقل للكمال إلا أفضاء قلائل . ومع ذلك ، فليس
أحد من هؤلاء الأفضاء قد نجا من قذف الناس إياه بالمجنون .
ألا تغفري أى الأنبياء — وهم فضائل الإنسانية الكاملة —
رى أن يقول فيه أهله وعشيرته : « إن هو إلا رجل به رجنة »
أو « ساهر » أو « مجنون » ؟

إن من أعظم حقائق الحياة الدنيا أن العقل لا يستطيع أن
يدرك حقيقة العقل ، أى أنه لا يستطيع أن يدرك حقيقة نفسه ! و...
وصدح السكون صوت صغير الغارة الجوية ، فارتفع صاحبي
ثم قال :

— أليس هذا هو صوت جنون سكان العالم ؟ أليس كذلك ؟

ولها تسعة

محمد محمد شاكر

للانتهاء إما بوفاته أو باستقالته (ويكون ذلك أحياناً جأئير
السلطان) وقد كان في زمن أقدم الحاكم الأعلى في جميع شؤون
الطوائف . ويحدث المحدثون أن سلطته (أى شيخ الشايع)
كانت في زمن ما واسعة جداً تمتد حتى إلى حق الحكم بالوث .
وعلى كل فقد احتفظ زمن طويل بحق سجن أو تقييد رجال
الحرفة أو زجرهم بالسياط . وكان يمشى على وقف ورائى . وقد
أنتصت سلطته إلى حد كبير بعد « التتظبات » أى الإصلاحات
الثمانية في القرن التاسع عشر وأصبح مركزه رتبة شرف فقط .
وكان شيخ الشايع في زمن بحث قدسي عالماً كبيراً ولكنه مجهول
تماماً لجميع الحرف . وكان عمله الوحيد المصادقة على تعيين رؤساء
الطوائف الذين بينهم الأمانة

ويظهر أن رتبة شيخ الشايع كانت مختصة بدمشق فقط
إذ لا يوجد لها أثر في أية مدينة أخرى . لم يكن باستطاعة شيخ
الشايع حضور جميع اجتماعات الطوائف شخصياً ، لذلك كان يرسل
موظفاً خاصاً يسمى (النقيب) في حالة وجود اجتماع لترقية
بعض الأعضاء إلى صناعات أو أمانة أو لأى شيء يخص المجموع .
وعند ما كانت وظيفة شيخ الشايع مهمة وذات نفوذ كان له عدة
تقياء . لكن قدسي وجد تقريباً واحداً (زمن بحثه) له معرفة
بالحرف وبشؤون الطوائف وهي الصفة التي كانت تنقص للشيخ
ويلى شيخ الشايع — شيخ الحرفة — ينتخبه أكبر أعضاء
النقابة من : أربع ماهرى الحرفة ، ولم تكن تتبع أية قاعدة
في الأولوية سواء أكان ذلك من جهة السن أم طول زمن العضوية
فقد يكون الشيخ ، وقد كان كذلك في كثير من الحالات ،
شاباً حدثاً ، بل كان يطلب فيه أن يكون قاضى الأخلاق ، حاداً
ماهراً محترماً بين رجال الطائفة قادراً على تعليمهم أمام السلطان .
كان منصب للشيخ وراثياً في بعض الطوائف ، ولكنه خاضع
دائماً لمصادقة التجيين . وبين الشيخ لكبر سنه ، ويمكن
استبداله إن وجد أنه غير جدير بمنصبه . وكانت واجباته :
دعوة الاجتماعات وترأسها ، وملاحظة المحافظة على مستوى
الطائفة ، ومعاينة مخالفات قواعد الحرفة ، وتنظيم شئون العمل
(وكان هذا يفوض إلى الأمانة) ، والأجازة إلى درجة صانع
أو أستاذ ، وأن يكون رأس الطائفة المسئول في كل العلاقات
مع الحكومة . أما فيما يخص انتخاب الشيخ فقد لا حظ قدسي
أنه لم يكن ينتخب بالأكثرية ، فمستند خلو كرمى الرئاسة

(نواب رئيس الطائفة) عند الضرورات يشكل محكمة قضاء لرجال الطائفة . ولم تكن توجد درجة صانع ، بل كان البتدى عند إجازته يرفع إلى منزل أسعوى أو أستاذ راساً . وكان يطلب منه صنع شيء نموذجي

وهيما بصورة خاصة معرفة أنه كان في طوائف القاهرة نوع من أنواع التأمين ضد البطالة والمرض يتعاون في ذلك جميع الأعضاء لم تستطع كل هذه التشكيلات التي دامت دون تغير تقريباً حتى القرن التاسع عشر ، وأحياناً حتى القرن العشرين مقاومة هزة الفتح الأوربي ، ففي كل محاولة في البلاد الإسلامية أخذت طرق الإنتاج القديمة تفتح المجال لطرق جديدة ، وهكذا بدأت الطوائف تتحلل . وتحولت هذه للتشكيلات في أغلب الأحيان إلى اتحادات تجارية Syndicats من النوع الأوربي كما اشتركت بعض نقابات تونس وتونس وسورية ، ومن الهند الصينية الهولندية في اتحادات العمال الدولية ، وهناك نقابات أخرى في دور انتقال

بقي علينا أن نذكر كرامة عربية من حياة الطوائف الإسلامية (أى ما يعرف بالطوائف الوضيعة)^(١) ، فمن أزمان متقدمة نجد في البلاد الإسلامية طوائف منظمة كاملة في مراسيمها ونظمها وتقاليدها من نوع آخر من الحرف كاللصوص وقطاع الطرق فكانت (بنى ساسان) أو (سبايا للقاهرة) المظلمين سطوة عظيمة لمدة طويلة . وفي دور الفوضى في عصر الخليفة العباسي المقتدى ١١٠٦ - ١١٣٦ م سيطرت طوائف اللصوص في بغداد على هذه المدينة^(٢) وهذه الطوائف التي لم تكن لها دون شك أية علاقة بطوائف الحرف والصناعات الحقيقية ساعدت على حط صفة هذه الطوائف وكانت يتخذها أعداء الطوائف وسائل للتهمج عليها ما هي النتائج العامة التي تستخلص من هذا المرض للطوائف الإسلامية ؟ يظهر لي أننا نستطيع أن نستخلص أربع خصائص تميز تنطبات النقابات الإسلامية من تنطبات النقابات الأوربية كما يلي : أولاً : على العكس من النقابات الأوربية التي ظهرت لخدمة عامة معترف بها ولها امتيازاتها وتدار من قِبَل السلطات العامة للأمر أو البلدية أو الملك نشأت للنقابات الإسلامية من تلقاء

يجمع الأساتذة المتقدمون ، ويتناقشون في الرهشعين الغالبين للانتخاب فإن لم يتفقوا على شيء يمين شيوخ المشايخ شيخاً على كل حال . ثم يثبت شيخ المشايخ الشيخ الجديد في حفلة خاصة . كان للشيخ مساعد يسمى شاولي ، وعلاقته بالشيخ كملافة النقيب بشيخ المشايخ مع هذا الفرق العام وهو أنه بينما كان النقيب يمين بواسطة شيخ المشايخ كان الشاولي لا يمين إلا بموافقة المتبعين . ولم تكن للشاولي سلطة خاصة . بل كان مثلاً ، وضابط تنفيذ لشيخ الحرفة . ويخبرنا قدسي أن منصب شاولي قد برز جداً ولكن الاسم حديث

يشغل البتدى من غير أجرة لمدة سنوات حتى يصل إلى سن الرجولة ، وتصبح له مهارة في الحرفة (على كل كان البعض ينال أجراً أسبوعياً زهيداً حسب ما يستحق) . ثم يصبح بعد ذلك صانعاً ، فإذا لم يتغن حرفته ويتقدم إلى أستاذ بقيت أجوره وأعطاه ومنع من الاشتغال لحسابه الخاص

كان الصانع في زمن قدسي يشكلون هيكل الطائفة وكانوا أكثرية عظيمة . وخبرنا أنهم كانوا يحتفلون سر الطائفة وأنفل أسرارها إلى ما يلهم

ثم يفيض قدسي في وصف معلول لحفلات الإجازة . يدخل في ذلك التمنج والمحافظة على أسرار الطائفة والصنع الجيد ، وكذا الرسوم والقوانين اللقنة التي تتعلم كل مظهر من مظاهر حياة رجال الطائفة مع كل العلامات والإشارات المعمول بها . وأخيراً يشير قدسي إلى قنشاها بين هذه الحركة وبين الماسونية الحرة في أوروبا مسائل مما إذا كانت هناك علاقة بين الاثنين^(٣)

يكتفي ذكر بعض الملاحظات عن الطوائف المصرية حيال هذا الوقت لثنتين بعض الاختلاف ، فشيخ المشايخ غير معروف هنا . وإنما نجد الطوائف تحت رئيس البوليس ... كان رئيس الطائفة (ويسمى هنا شيخ للطائفة) سلطة نظارة العمال وتسمية الخلافات فيما يتعلق بمجتمهم ومعاينة المتعلمين^(٤) وكان يدعو مجلساً من المختارين

(١) يؤيد الناس لا نجد مانعاً من ذكر علاقة عربية بين الماسونية الحرة والنقابات الإسلامية . في أوائل القرن التاسع عشر أى بعض الفرنسيين في سوريا بأنهم اكتشفوا شيئاً بين رسوم الماسونية الحرة وبين رسوم الفرز ، ولما كان الفرز من أصل إسماعيلي وتتميز الإسماعيلية على النقابات الإسلامية عظيم كما ذكرنا نجد العلاقة ذات أهمية ، بينما يبتدر (فرز) من تنظيم النقابات الأوربية مشتقاً من نظام النقابات الإسلامية (٢) ص ١٥ ينظر ملاحظ آخر لنقابات القاهرة وجود هذا الصراط لاحظ

(١) يلاحظ السودي وجود نقابات فصوص في بغداد ٩٥٩ م ، أنظر مروج الذهب طبعه باريس ١٨٩١ ج ٨ ص ١٨٩

(٢) ابن خلدون باريس ج ٣ ص ١٥٣ ، أنظر تيليس إيليس لان الجزوي طبعة القاهرة ١٧٤٠ مجرسة ص ١٥ وما بعدها . قال لي البروفيسور Coornaet بأن مؤسسات من هذا القبيل ليست خاصة بالإسلام لوجود نقابات مشابهة طاق فرنسا في القسم الأخير من القرون الوسطى

غير موجودة^(١)، لم تتطور أبداً إلى منزلة اجتماعية دون أصل في الارتقاء إلى رتبة أستاذ. فالتقافة الإسلامية نخلوها من التفريق الاجتماعي الداخلي^(٢) الذي يقسم الثقافة الأوروبية، حافظت على خاصيتها التي انطبقت بها عند ما ظهرت في القرنين العاشر والحادي عشر، وهي المساواة بين أفرادها ككليف في المجتمع وشكلها الخاص كشورة للمال ضد ارتفاع الرأسمالية الاقتصادية والتجارية عندئذ.

ثالثاً — والميزة الثالثة في الطوائف الإسلامية: هي كونها تضم أفراداً من مختلف الطوائف؛ فبينما أبدت الطوائف الأوروبية من صغرها حتى للسيحيين المختلفين المذاهب، نجد الطوائف الإسلامية مفتوحة لليهودي والمسيحي والسلم على السواء، وبينما نجد بعض الطوائف الإسلامية تمردوا الأغلبية النير مسلمة

رابعاً — وخاتماً يجب أن نلاحظ أهمية الحياة الداخلية الروحية في الثقافات الإسلامية؛ فمثل العكس من الطوائف الأوروبية لم تكن الثقافة الإسلامية تشككاً مطلقاً، فذ أن كانت الثقافة تشكل جزءاً من نظام الدعاة السماوية حتى الوقت الحاضر احتفظت هذه الثقافات دائماً بمثلا المتأصلة فيها قوانينها الأخلاقية والأديبة التي كانت تدرس لكل المبتدئين في نفس الوقت الذي تعلم فيه الحرفة.

(الرسالة): هاج الأستاذ برنارد موضوع الطوائف الإسلامية علجاً حسناً، ولكن ضيف الترجمة في اللغة العربية وجهه ببعض المصطلحات التاريخية أصاباً للقال بقى من التفكك والتمزق.

(١) بالرغم من أن قدسي يقول أن الصانع يشكل عيكل الثقافة يجب ملاحظة أن قدسي شاهد متأخر كتب بعد أن طرأ تغير كبير على الثقافة. أما (أوليا) و (صدق) — صدق كاتب من الثقافات في القاهرة — فلا يذكران هذا التصيب

(٢) لاحظ Billoud من خصائص الثقافة الانطوائية المتحركة في فرنسا فهنا يشكل الأستاذ صفناً إقطاعياً وراثياً ينادي كل العناصر الجديدة الغربية من صفته، فإن هذا ينظر الأستاذ للرشعين للأستاذية في الثقافات الإسلامية

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأمان الآتية:

السنة الأولى في مجلد واحد ٥٠ قرشاً، و ٧٠ قرشاً من كل سنة من السنوات: الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة في مجلدين.

وذلك مسداً أجرة البريد وفندرها خمسة غروش في الداخل وعبارة غروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج من كل مجلد

نفسها، من الشعب، وتكونت لا إجابة لحاجة الدولة، بل إجابة لحاجات كتل البهال أنفسهم، كما أن الثقافات الإسلامية اتخذت، خلافاً قصيرة، إما عداءة مكشوفة للدولة، وإما عدم ثقة. وقبول ذلك بالكل من قبل السلطات العامة سياسية أو دينية. ويظهر مدى هذا الشعور ضد السلطات الحاكمة من بروز المفاجئ في القرن العشرين في الدور الهام الذي لعبته الثقافات في الثورة الإيرانية، ومن التطور المريع للثقافات الإسلامية إلى كتلة تورية في الهند الصينية. في الراجلة القوية بين هذه الثقافات وبين الشيوعية الأوروبية^(٣). ولا ينقص قيمة هذا الاحتجاج منع بعض الأحرار المسلمين وضاً مقيداً للثقافات للحصول على تأييدها كما لا ينفي وجود خلافات في بعض الأحيان بين الحكماء الأوروبيين وللثقافات كون هذه المؤسسات أميرة

ثانياً: نتيج انطاسة الثانية لحياة الثقافات الإسلامية أولاً ما ذكرناه الآن، وثانياً من حالة طرق الإنتاج التي تم تغيير في الأراضي الإسلامية منذ القرن الثاني عشر حتى القرن التاسع عشر. فلا يرجع في تاريخ الثقافات الإسلامية ما يماثل الازدهار العظيم في الثقافات الأوروبية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، الذي انتهى بانقسام هذه الثقافات إلى سادة وصناع: (طبقيين خلفيين ومعتادين). وفي ارتفاع السادة السيامي والاقتصادي العظيم، وفي تنظيم ثقافات خاصة للصناع كصلاح في نضال الطبقات العنيف الذي نتج^(٤). أما في الإسلام، فقد بقي الأستاذ والمسيد والصانع والبندى طبقة واحدة في المجتمع على اتصال شخصي قريب فرتبة الصانع وهي مؤنفة وانتقالية دائماً، وفي أكثر الأحيان

(١) أنظر Revue du monde Musulman Ixviii, lii, li, liii ولاحظ الأستاذ ماسينيون أن الثقافات في فارس تحفظ بروح اعتقاد خاصة ضد السلطة الحاكمة.

(٢) يوجد استثناء ذلك في أثناسوليا في القرنين الثالث والرابع عشر فهنا نجد نساً من الأستاذية في جبريات الأخوة (كما لاحظ كبرولو وكشر) ظهر أنهم تطورا إلى نوع من الرأسماليين يشتمون بنفوة اقتصادية واجتماعية. وهذا الانحياز يعطي شيئاً وازى التطور البلدي في أوروبا، ولسكنها على كل حال كانت محدودة الانتعاش ولم تتطور إلى درجة التضام بين المال والأستاذية. وهي خاصة بأثناسوليا حيث خلفت قوة النفوذ البيزنطي وأهمرة التركية ظروفًا خاصة، وحق هنا (أثناسوليا) قضى على هذه الحركة خلافاً لتقوى مركز السلطة الشابة لدا فلاش. — فالف. — حركة الخلق لا يسد صمة البسدا العام بينا بينر — (تشر) — حركة الأخوة كركة الطبقة للوسطية صاحبة رأس المال بدل أن ينير ظهور طبقة خروسة من بين الثقافات، ويشم اتحاد القوة والثقافات عدة قرون بعد ذلك